الباب الثاني : الإيمان و الإسلام :

أوّلا .تعريف الإيمان :

الإيمان لغة : مشتقّ من الأمن ، و أصل الأمن طمأنينة النفس و زوال الخوف و الأمن و الأمانة و الأمان.

و آمن إنّما يقال على وجهين أحدهما متعدّيا بنفسه يقال آمنته على نفسه أي جعلت له الأمن ومنه قيل لله مؤمن ، و الثاني غير متعدّ و معناه صار ذا أمن .

أمّا الإيمان في اللغة فيراد به التّصديق ؛ قال تعالى على لسان إخوة يوسف : " وما أنت بمومن لنا و لو كنّا صادقين" أي بمصدّق لنا ؛ قال ابن منظور " لم يختلف أهل التفسير أنّ معناه ما أنت بمصدّق لنا " .

أمّا اصطلاحا فتطلق بمعنيين :

الإيمان يستعمل تارة اسما للشريعة التي جاء بها محمد عليه الصلاة و السلام و على ذلك :" الذين ءامنوا و الذين هادوا و الصابون..." و يوصف به كلّ من دخل في شريعته مقرّا بالله و بنبوّته .

و تارة يستعمل على سبيل المدح و يراد به إذعان النّفس للحقّ على سبيل التّصديق و ذلك بإجتماع ثلاثة أشياء : تحقيق بالقلب ، و إقرار باللّسان و عمل بحسب ذلك بالجوارح ؛ قال تعالى : " و الذين ءامنوا بالله و رسله أولائك هم الصّدّيقون..." ، ويقال لكلّ واحد من الإعتقاد و القول و العمل الصالح إيمان قال تعالى " وما كان الله ليضيع إيمانكم"

ثانيا.الفرق بين الإسلام و الإيمان و الإحسان :

فرّق النبيّ صلى الله عليه و سلّم في حديث جبريل المشهور بين مسمّى الإسلام و مسمّى الإيمان و مسمّى الإحسان ؛ فقال : " الإسلام ان تشهد أن لا إله إلّا الله و أنّ محمّدا رسول الله...إن استطعت إليه سبيلا" و قال " الإيمان أن تؤمن بالله و ...بالقدر خيره و شرّه" ، و قال : " الإحسان أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك" .

فالنبيّ صلى الله عليه و سلّم جعل الدّين على ثلاث درجات : أعلاها الإحسان و أوسطها الإيمان و يليه الإسلام ، فكلّ محسن مؤمن ، و كلّ مؤمن مسلم ، و ليس كلّ مؤمن محسنا و لا كلّ مسلم مؤمنا .

و قد فرّق القرءان الكريم بين الإيمان و الإسلام ؛ قال الله تعالى : " قالت الأعراب ءامنّا قلّ لم تومنوا و لكن قولوا أسلمنا و لمّا يدخل الإيمان في قلوبكم" فدلّت الآية على أنّ الإيمان درجة أعلى من الإسلام ؛ لأنّ الإسلام يطلق على الشعائر الظاهرة كما جاء في الحديث أمّا الإيمان فيطلق على عمل القلوب و رسوخ التّقوى فيها ، ويشهد لهذا تتمّة الآيات التي جاءت بعدها " إنّما المومنون الذين ءامنوا بالله و رسوله ثمّ لم يرتابوا و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله أولائك هم الصادقون"

لكن لا يمنع من إطلاق الإيمان على مسمّى الدّين كلّه في مقابل الأديان الأخرى كمثل قوله تعالى : " إنّ الذين ءامنوا و الذين هادوا و الّصابون و النّصارى..."

الخلاصة:

*بين الإسلام و الإيمان عموم و خصوص إذا اقترنا دلّ كلّ منهما على معنى مغاير ، فيكون الإسلام بمعنى القيام بالشعائر الظاهرة و الإيمان بمعنى الأمور الإعتقادية القلبية ، و إذا افترقا دلّا على معنى واحد ، فيكون الإسلام إيمانا و الإيمان إسلاما.

*الإيمان أعلى رتبة من الإسلام ، و على ذلك أدلّة كثيرة أشهرها حديث جبريل المشهور.

*قد يكون المرء مسلما لكن غير مؤمن ، والمقصود بنفي الإيمان ليس اصله إنّما كماله ، فلو نُفي الأصل لكان المرء مكذّبا غير مصدّق و لأطلق عليه وصف الكفر و ليس وصف الإسلام.

ثالثا .مفهوم أركان الإيمان :

قال الجرجاني في التعريفات ركن الشيء جانبه القويّ فيكون عينه ، و في الإصطلاح : ما يقوم به ذلك الشيء من التقوّم ، وقيل ركن الشيء ما يتمّ به و هو داخل فيه بخلاف شرطه و هو خارج عنه .

وعلى هذا فأركان الإيمان ، مثل اركان الإسلام ، ما لا يقوم الإيمان إلّا بها ، و هي داخلة فيه بحيث لو اختلّ ركن منها لاختلّ الإيمان جميعا.

وقد دلّ على أنّ اركان الإيمان ستّ القرءان و السنّة :

فمن القرءان الكريم قوله تعالى : " و لكن البرّ من ءامن بالله و اليوم الآخر و الملائكة و الكتاب و النبيّين ." و قوله تعالى : "كلّ ءامن بالله و ملائكته و كتبه و رسله لا نفرّق بين أحد من رسله" ، وقوله تعالى : " يا أيّها الذين آمَنُوا آمِنُوا بالله و رسوله و الكتاب الذي نزّل على رسوله و الكتاب الذي أنزل من قبلُ ، و من يّكفر بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر فقد ضلّ ضلالا بعيدا" و الدّليل من القرءان على أنّ الإيمان بالقدر من أركان الإيمان قوله تعالى : " إنّا كلّ شيء خلقناه بقدر" و وقله تعالى : " و كلّ شيء عنده بمقدار عالم الغيب و الشهادة الكبير المتعال" و قوله تعالى : " إنّ الله عنده علم الساعة و ينزّل الغيث ... إنّ الله عليم خبير" و وقوله تعالى : " وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلّا هو و يعلم ما في البرّ و البحر... إلّا في كتاب مبين" .

أمّا من السنة فقوله صلى الله عليه و سلّم :

فيكفي حديث جبريل المشهور الذي أخرجه مسلم في صحيحه : الإيمان أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله و تؤمن بالقدر خيره و شرّه" ، فهو صحيح في ثبوته صريح في معناه وقد تلقّته الأمّة بالقبول وقد اعتبرته كثير من العلماء من المتواتر معنويا.

لكن الإيمان بهذه الأركان ينبغي أن يكون صحيحا موافقا لما أجمعت عليه الأمّة ، ولا يجوز أن يختلّ ركن من أركانه ، و إلّا –كما سبق بيانه – ينخرم كلّ الإيمان بانخرام أحد أركانه.

*فلا يكفي الإيمان المطلق بالله بل يجب أن يكون مطابقا لما جاء به القرءان و السنّة ، لأنّ كثيرا من الأديان ، خاصة اليهودية و المسيحية يؤمنون بالله إلّا أنّ اليهودية شبّهت الله بخلقه و نسبت إليه صفات النّقص كالنّدم و التّعب و الظلم – تنزّه الباري و تقدّس عنها – ، و المسيحية رغم إيمانها بالله إلّا أنّها نسبت إليه الولد و جعلته ثلاثة أقانيم.

* و الإيمان بالملائكة يجب أن لا يؤدّي إلى اعتبارهم بنات الله أو كونهم إناثا ؛ قال تعالى : " و جعلوا الملائكة الذين هم عند الرحمان إناثا أأشهدوا خلقهم" ، وقوله تعالى : " و يجعلون لله البنات سبحانه و لهم ما يشتهون" ، وقوله سبحانه :" فاستفتهم ألربّك البنات و لهم البنون، أم خلقنا الملائكة إناثا و هم شاهدون ، ألا إنّهم من إفكهم ليقولون ولد الله و إنّهم لكاذبون ، أصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون "

ولا ينبغي أيضا سبّهم أو القدح فيهم أو معاداتهم كما تفعل اليهود ؛ قال الله سبحانه مشنّعا عليهم :" قل من كان عدوّا لجبريل فإنّه نزّله على قلبك بإذن الله و هدى و بشرى للمومنين ، من كان عدوّا لله و وملائكته و كتبه و رسله و جبريل وميكائيل فإنّ الله عدوّ للكافرين" فجعل الله كره الملائكة و معاداتهم كفرا.

*و الإيمان بالكتب يجب الإيمان بها كما نزلت به عند ربّها قبل تحريفها كالتوراة و الإنجيل و الزبور، كما يجب الإيمان بأنّ ما بقي منها صحيحا غير محرّف قد تمّ الهيمنة عليه بالكتاب الخاتم و تمّ نسخه بالقرءان الكريم ، قال تعالى : " و أنزلنا إليك الكتاب بالحقّ مصدّقا لما بين يديه من الكتاب و مهيمنا عليه"

*و الإيمان بالرّسل يجب أن يكون إيمانا مجملا و مفصّلا سواء الذين ذكرت أسماؤهم أو الذين لم يذكروا " ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك و منهم من لم نقصص عليك" ، ولا يجوز التفريق بينهم ؛ قال تعالى :" لا نفرّق بين أحد من رسله" ، و لا يجوز أيضا الإيمان ببعضهم و الكفر بالبعض الآخر قال تعالى : " إنّ الذين يكفرون بالله و رسله و يريدون أن يفرّقوا بين الله و رسله و يقولون نومن ببعض و نكفر ببعض أولائك هم الكافرون حقّا"

*أمّا الإيمان بالقدر فالغلط فيه قد يؤدّي بعضه إلى الكفر و بعضه يؤدّي إلى البدعة المغلّظة ؛ فمن نفى علم الله بالأشياء يكون نسب الجهل لله سبحانه – تنزّه عن ذلك و تقدّس – ، ومن نفى مشيئته لها يكون قد وقع في بدعة شنيعة مغلّظة كما تقول بذلك القدرية النفاة للقدر ، ومنهم من غلا في إثبات القدر حتّى نسب الجبر و نفى الإختيار كما تقول به طوائف من الجبرية فهؤلاء أيضا غلطوا في فهم القدر و وقعوا في بدعة مغلّظة.

رابعا .شروط الإيمان :

للإيمان شروط لا يتحقّق إلّا بها :

*العلم نفيا و إثباتا ، و الدليل على ذلك قوله تعالى :" فاعلم أنّه لا إله إلّا الله" و وقوله :" إلّا من شهد بالحقّ" و وقل النبيّ صلى الله عليه و سلّم:" من مات و هو يعلم أنّه لا إله إلّا الله دخل الجنّة" رواه مسلم.

*اليقين المنافي للشكّ : الدليل على ذلك قوله تعالى :" إنّما المومنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثمّ لم يرتابوا " وقول النبيّ صلى الله عليه و سلّم لأبي هريرة :" من لقيت وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلّا الله مستيقنا بها قلبه فبشّره بالجنّة" رواه مسلم

*الإنقياد ظاهرا وباطنا : الدليل على ذلك قوله سبحانه : و وقله سبحانه :" و من يسلم وجهه لله و هو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها " .

*القبول لها فلا يردّ شيء من لوازمها و مقتضياتها : الدليل على ذلك قوله سبحانه : " وما كان لمومن و لا مومنة إذا قضى الله و رسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم"

*الإخلاص : قال تعالى :" ألا لله الدّين الخالص " و وقله سبحانه :" فاعبد الله مخلصا له الدّين"

*الصّدق من صميم القلب لا باللّسان فقط: قال تعالى :" ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين"

*المحبّة لها و لأهلها و الموالاة و المعاداة لأجلها : قال تعالى : " يا أيّها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم و يحبّونه" و وقوله تعالى :" و الذين آمنوا أشدّ حبّا لله".